و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

ربِ أعنِي ولا تعن علي

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٤-٠٧-١٤٤٢ هـ

ربِ أعنِي ولا تعن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

خلال لقاءاتنا الماضية تحدثنا عن الرحلة إلى الدار الآخرة ابتداءً من خروج الروح إلى منازل الأرواح إلى كيف يكون حسن الختام، بعد هذه اللقاءات رجعنا إلى الدنيا من جديد، ومن إثنين إلى إثنين شعرنا أن الدنيا تأخذنا في لفة عريضة وكأنها تنسينا دائمًا الهدف الأساسي من بقائنا على وجه الأرض أو الهدف الأساس من خلق الإنسان.

السؤال المهم الذي يجب أن نتعهده بين فترة وأخرى هو كيف نحول المعلومات التي لدينا إلى ترجمة حية في واقعنا الحي، وكيف نحول هذه الترجمة إلى منهج حياة،

فنحن دائما نحاول أن نعرف مثلاً كيف قرأ النبي عليه الصلاة والسلام الموت، كيف قرأ الصحابة رضوان الله عليهم منازل الآخرة أو الدار الآخرة، كيف عاشوا في الدنيا بهذه العين التي تتطلع إلى الدار الآخرة، هذه السؤال مهم، كيف نقوي أنفسنا ونقوي أعيننا لتبصر ذلك الغائب غير الحاضر، فكما ذكرنا سابقا كلمات عن بعض السلف عندما قالوا: **يا ابن آدم إنما لك منزلان، منزل شاهد ومنزل غائب فلا يضرنك الشاهد الذي ترى عن الغائب الذي ستدوم فيه**، منازل في الدار الدنيا نعيش فيها، نسكن فيها، كلنا نعرفها، فلا تشغلنا عن الدار الآخرة الحقيقة التي سيطول فيها بقاؤنا.

بعد أن نعرف أن هناك غائبا حاضرا موجودا سنعيش فيه عمرا أطول ممتدا أكثر من عمرنا الحالي، نعرف عندها أنه يجب علينا أن نقوي أنفسنا من أجل تلك الدار الآخرة وذلك العمر الآخر.

قبل أن نبدأ في موضوعنا اليوم، سنعرج على ثلاثة مواقف للصحابة رضوان الله عليهم ثم سندخل في حديثنا اليوم:

الموقف الأول للصحابة رضوان الله عليهم لما حوصروا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وقت الحصار، ففي بدايات الدعوة المكيّة أول ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يبلغ قوة هذا الدين حوصر في الشعب لمدة ثلاث سنوات، ولما نقول حوصر فإنه تقريبًا كأنه سجن في ذلك الشعب أو الوادي، هو صلى الله عليه وسلم وأهل بيته و كل المسلمين حوصروا معه، ومُنع عنهم الطعام والشراب فلا يدخل لهم أي شي، ولا يبيعونهم ولا يناكحونهم، فقوطعوا مقاطعة اقتصادية واجتماعية،ومُنع على أي أحد أن يعطيهم أموالا، فبنو هاشم كانوا أغنياء وعندهم مال، ولكن ممنوع أن يعطونه لهم، فحوصر المسلمون حصارا شديدا إلى درجة أن منهم من مرض ومنهم من توفي في تلك الفترة، كأبي طالب، والصحابة يذكرون تلك الفترة فيقولون كنا نجوع إلى درجة أن أكلنا ورق الشجر، فتخيلوا أن الناس في جوع لثلاث سنوات ممنوع عنهم الأكل، فصار طعامهم ورق الشجر، وكان أحدهم يقول أن أحدنا ليذهب للخلاء ليقضي حاجته فيسمع صوتا من تحته، فيعرف أن تحته شيء ليس بتراب فيأخذه فيزيل التراب عنه ويزيل الأذى عن الذي قضى عليه حاجته، فإذا كان كسرة طعام أو كسرة عظم فكان يمسحها ويتقوى بها، إلى هذه الدرجة كانوا في ذلك الحصار.

عندما نقرأ عن هذا الموقف الذي حصل للصحابة في السيرة لا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموقف، وما قالوا له يا رسول الله أتذكر يوم وقفنا معك في الشعب، ونحن لم نكن مضطرين لذلك، فنحن من بني هاشم كان من الممكن أن نخفي إسلامنا ونأكل ونشرب ولكنا وقفنا معك هذه الوقفة، لم يقولوا ذلك أبدا، ما امتنوا على النبي عليه الصلاة والسلام ولا عدوها من صالح أعمالهم، ولكن لو كنا نحن من ضمن هذه الفئة التي حوصرت بالشعب مع رسول الله، كنا سنضعها في سيرتنا الذاتية، فنحن الذين حوصروا ثلاث سنوات، ستشعر أنك قمت بعمل عظيم وستذكر طوال الوقت أنا من ضمن هؤلاء وأنا صار لي هذا الموقف وأكلنا ورق الشجر وصار فينا وصار فينا ونمتنُّ بهذا الموقف.

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الغداة: "يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة؛ فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة؟" رواه مسلم. فلم يقل بلال يا رسول الله أنسيت أني في مكة جُلدت ودك ظهري ووضعت الصخور علي وعذبت، لا لم يقل أن هذا أرجى عمل له، وإنما قال يا رسول الله لم أتوضأ وضوءًا قط إلا وصليت معه ركعتين، نسي بلال كل تلك الفترة التي كان من الممكن أن تكون سببًا .

فكان الصحابة رضوان الله عليهم بهذه الصلابة وهذه القوة في أن موقفا أو منعطفا حياتيا حادا يحصل لهم لا يؤثر عليهم بشي كبير وكانوا يراعونه في مكانه.

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لما جاء الحجاج بعد خلافة عثمان وقتل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، وعبدالله بن الزبير يكون هو ولد أسماء بنت أبي بكر، ومن الذين أثنى النبي عليه الصلاة والسلام على حنكته ودعا له، وهو معروف بأنه العابد القوام الصوام الزاهد، وكان أهل مكة يحكون عن عبادته الشيء الكثير، ثم تسلط عليه الحجاج الذي كان واليا على العراق، فأهل مكة كانوا يطالبون بخلافة عبدالله بن الزبير، فيأتي إليه وتقع معركة في مكة ويُقتل عبدالله بن الزبير ويصلبه الحجاج، فتأتي أسماء بنت أبي بكر وقد عميت وعمرت يقال أن عمرها بلغ 100 سنة،

فجاءت إليه تتحسسه، بعد أن قالوا لها أنه قتل وصلب ومنع أن يدفن، فلما جاءت رآها الحجاج فقال: "ما رأيك بما فعلنا؟"، أي تجرأ ابنك علينا فانظري ماذا فعلنا به، ففي موقف مثل هذا، تقف فيه الأم أمام ابنها، وهي عجوز ضعيفة، تلمس ولدها وهو جثة هامدة معلقة مصلوبة، فما كان من أسماء بنت أبي بكر إلا أن قالت: "إن لم تقتله مات"، أي لم تفعل به الشيء الكثير، "إنك لم تزد على أن أفسدت عليه دنياه و أفسدت عليك آخرتك

وموقف أسماء رضي الله عنها هذا معروف، وقد جاءها ابنها عبدالله بن الزبير قبل هذا يستأذنها قتال الحجاج وهو يعرف أنه سيقتل، فقال: "إني أخاف السلخ"، أي لا أخاف الموت، ولكن السلخ، فقالت: "يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد موتها"، أي لن يضرك السلخ فاذهب ولا تخف، فما الذي جعلها بهذه القوة والصلابة، على أي موائد صنعوا هذه النفسيات القوية، موقف أسماء وبلال والصحابة يحاصرون في الشعب ثلاث سنوات فلا يتأوه منهم أحد ولا يمتن منهم أحد على النبي عليه الصلاة والسلام.

هذه القوة في التعامل مع أحداث الحياة لا يمكن أن تأتيك إلا وكما نقول دائما بعد أن تضع الدنيا في مقياسها وميزانها الصحيح، فلا تأخذها أكبر من حجمها، لكي تنقل العلم الذي تمتلكه بحقيقة الحياة إلى منهج تعيشه، وتحصل على القوة اللازمة لذلك،

ما هي الخطوة التي يرمم بها الإنسان نفسه، وتعيد بهجة الإيمان في قلبه، وما يجعله أثبت وأصلب على مبادئه في الحياة، هذه الخطوة نستمدها من نور الوحي، والحديث الذي سوف يدور حوله حديثنا الليلة، هذا الدعاء شمل أكثر من 22 مسألة سألها النبي عليه الصلاة والسلام ربه، فسأل الله عز وجل أن يعطيه هذه المسائل وعلم أمته من بعده أن يدعو بهذا الدعاء،

وأدعية النبي عليه الصلاة والسلام هي جوامع الكلم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها "عليك بالجوامع الكوامل " رواه أحمد، وصححه الأرنؤوط، بالكوامل يعني الجوامع والدعاء الذي يشمل أشياء كثيرة، وهذا الدعاء ليس طويلا جدا ولكن يمكن تقسيمه إلى فقرات، **وقيل أن هذا الدعاء جمع خير الدنيا وخير الآخرة**، وعندما شرح العلماء هذا الحديث قالوا أنه حوى الخير كله والبركة أجمع، وهو من أهم أسباب صلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة فلاحظوا أن معنا حديثا ليس بعادي، ومن أكثر العلماء المشهورين بمقارعتهم لأهل البدع والفلاسفة والكلامية وأهل الباطل هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانوا العلماء يقولون لو أردت أن ترى هذا الحديث مترجما في إنسان يمشي على الأرض فانظر في سيره شيخ الإسلام ابن تيمية فكان كثير اللهج بهذا الدعاء،

وهو قال عليه الصلاة والسلام حدث به ابن العباس فقال كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، (هذه المجموعة الأولى ولنسميها مجموعة الاستمداد) ثم قال: " رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أواها منيبا" (هذه المجموعة الثانية ولنسميها التزكية) "رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري" رواه الترمذي، وصححه. (هذه المجموعة الأخيرة هي مجموعة الرجاء وإن شئت أن تسميها خارطة الطريق)،

تعالوا نأخذ هذا الحديث ونقسمه ونفهم لماذا كان النبي عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يدعو بهذا الدعاء ويعلمه أمته من بعده، وما علاقة هذا الدعاء بفروعه الثلاثة، الاستمداد والتزكية والرجاء، وهذه تسمية من عندنا ليسهل تقسيمها، بكيف يقوي الإنسان نفسه ويكون صلبا في مواجهة هذه الحياة وتستديم معه الهداية.

المجموعة الأولى الاستمداد:

لو فكرنا في الكلمات الخمس الأولى (**أعني وانصرني وامكر لي واهدني وانصرني على من بغى علي**) أول ما تسمع هذه الكلمات يأتي في قلبك شيء؟ صحيح؟ أعني انصرني امكر لي اهدني، ما الذي يحدث؟ ما الذي يقبلون عليه؟ هذه الاستعانات كأنها استعانات دخول المعركة أو الحرب، بداية بـ (انصرني) ثم في الأخير(انصرني على من بغى علي)فيها تخصيص بعد تعميم، فالكلمات الخمس الأولى في هذا الحديث وهذه الدعوات كأنها تشرح لك طبيعة الدنيا، فتقول لك أنك أصلا مقبل على دنيا ليست مفروشة بالورد، وأي إنسان يظن

أن الدنيا جبلت أو أن الأصل فيها أن تكون رخاءً وصحة وعافية فأنت لم تعرف الدنيا، فإنما هي جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأكدار،

دنيا خلق الله الإنسان فيها في كبد، كبد يعني معاناة دائمة، لحظات الرخاء والفرح هي لحظات وقتية، فالرخاء يفقد معناه إن لم يكن هناك شدة، مثل النوم يفقد معناه بدون تعب، فإذا لم يكن المرء تعبانا وجاء لينام، وجد نفسه يتقلب في فراشه فلا معنى للنوم، لكن فلينظر إلى شخص تعبان ومشتاق إلى النوم أو محتاج له، فسينام كأنه جثة هامدة لا يوقظه شيء،

تفقد الصحة معناها لو لم يمر الإنسان بلحظات مرض أو رأى أناس تعاني من مرض، إذن هذه الحياة جبلت على نكد و جبلت على كبد و جبلت على معاناة ومشقة، ولا تقتصر المعاناة على المشقة، فالدنيا فيها صراعات ومعارك بين الحق والباطل، وبين الشر والخير وفيها حيرة وشبهات وشهوات متناثرة والتي تصب على الناس صبا من كل حدب وصوب،

فلا يمكن أن ندخل إلى هذه الدنيا من غير أسلحة ومن غير عون، ولا يظن الإنسان أنه وهو جالس في بيته فإن الشر سيتركه أو أن الشيطان سيتركه، فالنبي عليه الصلاة والسلام المؤيد بنصر الله عز وجل، والذي يتعاهده جبريل عليه السلام بالوحي صباحا ومساء والملائكة معه ظهير، ومعه أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي كلهم يفتدونه بأنفسهم، خباب لما قيل له لو أن محمدا مكانك وأنت في بيتك قال: لا، أود أن يكون محمد في بيته وأنه يشاك بشوكه ، يعني أنا أفدي روحي كلها لرسول الله، هذا النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي يدعو بهذا الدعاء ويقول يا رب أعني ولا تعن علي، فلمواجهة ماذا كان يطلب النبي عليه الصلاة والسلام العون؟

فلم يحدد النبي عليه الصلاة والسلام ماهية العون بالضبط، أعني في ديني في دنياي في آخرتي على سكرات الموت على قضاء الدين، هناك أدعية كثيرة جاءت بهذه الصيغة، ولكن هذا الدعاء مطلق، أعني جاءت عامة فشملت كل شيء،

أن **يا رب أعني أولاً على نفسي الأمارة بالسوء**، فقبل أن تتغلب على كل أعدائك الخارجيين نحن عندنا عدو معنا يصحو ويقوم يأكل ويشرب معنا، أنفسنا الأمارة بالسوء موجودة وحاضرة وأقرب لنا من عروقنا، أنت في أمان الله ليس لك أي نية شر فجأة تسول لك نفسك بأي شيء من الباطل، الآن نحن نحتاج أن يعيننا ربنا على نفسنا الأمارة بالسوء وعلى شيطاننا أيضا الذي يستيقظ وينام ويذهب معنا ولا نطرده إلا بالذكر، فإذا ذكرت الله تباعد، وإذا نسيت أن تذكر الله يأتي و يحوطك،

فالله عز وجل يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، كم منا من يقول أذكار المساء والصباح مثلا، كم منا يقول دعاء الدخول أو الخروج من البيت، هي أشياء بسيطة كلنا نعرفها لكن من الذي يعان عليها بشكل دائم وثابت، أعني يا رب على حسن عبادتك فلا أعبدك بطريقة عادية أو طريقة العادة وإنما حسن العبادة، أعني يا رب على مشاكلي، وغضبي وأخطائي، فلا يوجد إنسان لا يغضب ويرمي كلاما خاطئا، أعني على غضبي وأعني

على لساني وعلى كظم غيظي، أعني على معصية استقرت في قلبي فلا أستطيع الآن تركها ولا مجاهدتها، أعنا على البر، في المواقف الصعبة مع أمهاتنا وآبائنا، كيف أنه يمكن للمرء أن يكون أمه أو أبوه شخصا صعبا، فعليه أن يطلب العون من الله في البر،

نحتاج العون في التعامل مع الناس، فالناس أنواع وقد لا يتقبلون تصرفاتنا، قد نؤذيهم حتى بكلماتنا، نحتاج العون في ديننا ودنيانا،

يا رب أعني على حفظ القرآن، على قيام الليل وعلى صيام النهار، نحن نحتاج الله عزوجل في أزماتنا ومشاكلنا، أحيانا تغلق أمامنا طرق الحياة، ونواجه مواقفا لا نعلم كيف نتجاوزها، قد تواجه الأم عقوقا من ولدها، أو الزوجة كلاما قاسيا من زوجها، تحرقنا الكلمات، ولا نعرف كيف نرد أو كيف نواجه،

فالاستعانة بالله عز وجل ليست كفيلة في شيء دون شيء، لاتقف عند حد وليس لها شرط ولا حجم، وكل ما استعنت بالله في تفاصيلك الصغيرة كلما كان الله معك في التفاصيل الأكبر،

فمن ذكر الله عز وجل في الرخاء ذكره الله عز وجل في الشدة، يقول ابن القيم **كلما كان العبد أتم عبودية كانت له الإعانة من الله أعظم**، فكلما كانت عبوديتك لله أكبر، استعانتك بالله أكبر كلما كان عون الله لك أعظم، ولذلك قيل المستعين لا يهزم والمستعين لا يترك ولا يخذل، فلا تهزمك أحداث حياتك طالما أنك تستعين بالله في خطواتك، واعلم أنك طالما استعنت بالله فإنه لن يضيعك ولن يتركك ولن يخذلك بهذه الاستعانة، ولذلك الإمداد على قدر الاستعداد فعلى قدر ما تستعد يأتيك المدد من الله عز وجل.

هذه كانت الأولى (أعني ولا تعن علي)،

نلاحظ أن الأمور الثانية تبنى على هذا المعنى، (**وانصرني ولا تنصر علي**) فبين النصر والعون تداخل، أي لو نصرك الله فإنه أعانك، والميزة لكلمة النصرة ولذلك جاءت مرتين في الطلب الثاني والأخير في هذه المجموعة، هي أن النصرة تأتي للمظلوم والمغلوب، لا تأتي لشخص فقط يستعين بالله، لكن ومع بذل أسباب القوة يعلم أن القوة الأكبر عند الله، أن الله مسبب الأسباب، تأتي النصرة لهذا المغلوب فهو يستمد من الله أن ينصره، فيأتي معنى الضعف والاستضعاف والظلم فالإنسان مظلوم مستضعف عاجز ليس له أي سبيل فيا رب انصرني ولا تنصر علي،

انصرني على من؟ على أعدائي الذين من الممكن أن يكونوا شيطانك أو نفسك الأمارة بالسوء أو أشخاص حقيقيون يتربصون بك، يكونون إنسا أو جنا يتربصون بك أذى لأي سبب، انصرني في مجاهدة نفسي، (أني مغلوب فانتصر)

كان العلماء في شرح هذا الآية يقولون ما دعا بها مغلوب إلا و نصره الله عز وجل، وفي شرح النصرة التي نظن غالبا أنه ضد عدو خارجي، نجد أننا نحتاج هذه النصرة على أنفسنا، وعلى أهوائنا، في كثير من الحالات نريد الخير، ولكن لا تساعدنا أنفسنا على ذلك، إذن نحن نحتاج من الله أن ينصرنا عليها وفي مجاهدتها، ينصرنا بمعرفة الحق والثبات عليه والدفاع عنه ولذلك كلما نصر الإنسان ربه كلما نصره الله عز وجل، قال النبي عليه الصلاة والسلام «ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله

الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته» رواه أبو داود، وضعفه الألباني.

فلو أنك تعرف عن شخص ما أنه ليس بسيئ ولا بخبيث، ولو كانت بينك وبينه مشاكل أو أمور أخرى، وانتقص منه أمامك، واتهم في عرضه أو كذا، تستطيع أن تسكت ولا تقول شيئا، وأن يمر عليك هذا الموقف عابرا، ولكنك إن قلت: شهادة لله هذا الشخص ليس كذلك، ودافعت عنه ونصرته في غيابه، فالجزاء على هذا أن ينصرك الله في موطن تحب فيه نصرته، ومتى يكون هذا الموقف إلا في موطن تكون فيه مستضعفا وكل الأدلة ضدك والظروف تعاكسك وتقطعت بك السبل لتجد نصرتك فإن سبيل الله عنك هناك لا ينقطع، بسبب نصرتك لهذا الشخص، قال صلى الله عليه وسلم، "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره، وهو يقدر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة" رواه أحمد، وضعفه الألباني.

انظروا إلى أي درجة نحن مأمورون بنصرة بعضنا البعض، إلى درجة أنك لو رأيت شخصا مثلا ليس من هذا البلد أو غيره وأذل في موطن ما، لا يعرف العربية، واستذل لجنسيته أو لفقره أو طرد، لو رأيت إنسانا مؤمنا يستذل ولم تنصره، رغم أنك قادر على الدفاع عنه ففي هذا الحديث وعيد لذلك، (**إلا أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة**).

إذن في مواطن يحب الإنسان فيها نصرة الله عز وجل، والنصرة قد يرى الإنسان أسبابها فيتوقع أن الله سينصره بهذا السبب تحديدا ومن هذا الباب، وأحيانا لا، **وهذا من صدق الإيمان واليقين بالله أنك تسأل الله النصرة وأنت لا تعلم كيف سينصرك ومن أي باب سيأتيك**، فيأتيك نصر سماوي تدبير سماوي لم يخطر على بالك، ويأتيك لطف الله من حيث لا تحتسب، متى؟ متى ما استنصرت بالله، ولذلك هذا الدعاء مهم لأنه يمتحن توحيدك وتعلقك بالله عز وجل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **والتأييد على حسب الإيمان فمن كان أقوى إيمانا كان جنده من الملائكة أقوى، حتى يلقي بالكلمات على لسانه وكأنها يلقاها من ملك كريم**، أي يأتيه التأييد من الله عزو جل ومن ملائكته الذين يرسلهم الله عز وجل فيلقون الكلمات على لسانه كأنه يُلقى الكلام من ملك كريم.

ولذلك جاءت اللفظة في سيره عمر رضي الله عنه حين قالوا كانت السكينة تنطق على لسان عمر، أي أن كل الكلمات التي يتكلم فيها كأنه مسدد وملهم بها، فهذه الكلمات هي جزء من تأييد الله عز وجل، فكلما زاد الإيمان زادت العبودية، وكلما زادت العبودية زاد تأييد الله عز وجل.

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام (**وامكر لي ولا تمكر علي**) هنا دعوة خطيرة جدا، فمكر الله عز وجل ليس كمكر المخلوقين، فالمكر في صفات المخلوقين صفة ذم أما مكر الله عز وجل فهو مكرٌ يليق بجلاله وعظمته، ومكر الله عز وجل ليس صفة ابتداء، أي لا نقول أن الله ماكر أو الله يمكر كما نقول أن الله رحيم أو يرحم لا، هي ليست صفة نقولها ابتداءً وإنما هي صفة مقيدة تأتي بالمقابلة، أي نقول أن الله يمكر بالماكرين، وأن الله يخدع المخادعين وأن الله يستهزئ بالمستهزئين، فتأتي على وجه المقابلة ومقيدة بها، إذن لماذا جاءت الآن في هذه الدعوة يا رب امكر لي ولا تمكر علي؟، كيف يكون مكر الله عز وجل؟

مكر الله عز وجل له صور وسنذكر لكم ثلاث صور له:

المكر الأول: استدراج الله تعالى. طبعا يمكر الله عز وجل بمن يلعب بدين الله على هواه، والعاصي والذي يكذب ويخادع الناس، فيمكر الله عز وجل بهم على جنس مكرهم، فيستدرجه بالنعم، فيعصي هذا الإنسان المعصية ويصبح اليوم التالي وهو يترقب، هل رآه أحد، هل سمعه أحد، هل شعر أحد بما فعل؟ فيخرج فيرى الناس يتبسمون له أي أن الله لم يفضحني، فيذنب مرة أخرى ومرة ثالثة، ولم يره أحد ولم يتغير شيء.

كفتاة تقول إنها كانت تتحجب لأنها تظن لو خلعت الحجاب فإن شعرها سيتساقط، لا أعلم من وضع هذه الفكرة في بالها ولكن حصل لها موقف وخلعت الحجاب ولم يتساقط شعرها، فلم تشعر أنها فقدت شيئًا أو أنها نهاية الدنيا، فعاشت وتزوجت، وتحسنت وظيفتها،

فلما يشعر الإنسان أنه مقيم على معاصي الله عز وجل والله يعطيه ويمد له ويعطيه فوق ما يرجو، وأن الناس إنما تخوف في العقاب وتبالغ، فهذا أول نوع من أنواع المكر، أن الله يعطيه وهو قائم على معصيته فيستدرجه بالنعم حتى تزلق قدمه، فيمهله الله سنة وسنتين وخمسة عشر سنة، إلى أن ينسى كيف كان، الآن عندما تقول لفتاة أنك كنت متحجبة أو كذا، تقول إنما هذا أمر قديم على أيام الصحوة لقد تغيرنا الآن، خلال هذه الـ 15سنة هي كانت في استدراج حتى وصلت إلى مرحلة ما فيها وخز ضمير، بل تشعر بالسلام النفسي وتأخذ دورات في السكون والطمأنينة والتصالح مع الذات وأنها هي نفسها من الداخل والخارج،

ففي أوج حالات التلطخ بالذنب يمكن للإنسان أن يصل إلى الشك البسيط ربما بالدار الآخرة أو الجنة أو النار، لأنه لو كان المرء متيقنا منهما لم يخف ضميره، فيصبح الإنسان شاكا في العذاب، وأنه ها هو الآن حي ولو رددت إلى لربي فإن عندي خير، هؤلاء يأخذهم الله عز وجل في أعز طغيانهم، (حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) (الأنعام:44)، لاحظوا الكلمة، (فرحوا بما أوتوا) شعروا أنهم وصلوا ولكن في لحظه الفرح والبطر أخذهم الله عزوجل فإذا هم مبلسون، والله عز وجل إذا أخذ، أخذ أخذ عزيز مقتدر ولذلك قال الله عزوجل (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران:30) لا تدخل ولا تجرب أن يمكر الله عز وجل بك.

المكر الثاني: ما قال عنه العلماء من شُغل بغيره فقد مُكر به. أن الله يشغلك عن نفسك بغيرك فتصير طول اليوم لست مشغولا بنفسك وما الصواب وما الخطأ الذي اقترفته، وإنما مشغول بالناس وفلان تغير، وفلان أظنه من ذلك الصنف وهذا من ذاك الحزب وتصنف وتخون، فهذا الشغل بالغير هو من أنواع المكر.

المكر الثالث: أن يقيم العبد على الذنب وهو يتمنى المغفرة. ولا يقصد بهذا أن يرجو من الله أن يغفر له ويتوب عليه لا، بل إنني يا رب سأذنب وأنت اغفر، فيعيش حياته على هذا التجرؤ وسوء الأدب مع الله تعالى، فلن يتغير أو يترك شيئا من ذنوبه وسيعيش حياته على هواه، فيتعامل مع ربه بهذه الصفاقة،أنا سأفعل ما أريد وأنت يا رب اغفر لي، هذا من قالوا عنه العاجز الذي أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

إذن لما نقول يا رب وامكر لي ولا تمكر علي، يا رب لا تستدرجني ويا رب لا توقع بي ولا تشغلني عن نفسي بغيري فأنت تستعين بالله عز وجل وتطلب منه النجاة،

لاحظوا كيف رتبت الدعوات، أعني ثم انصرني ثم امكر لي، ثم اهدني ويسر الهدى لي، فلا تتركني يا رب أتوه ولا تتركني يا رب أضيع أو أحتار، فكما قلنا نحن داخلون في معركة وهذا الطريق فيه شبهات وشهوات وامتحانات واختبارات لا تتوقف ليل نهار، فنحن نمتحن في إيماننا وفي مبادئنا طوال الوقت، بالرسائل والإشعارات، إذن في ماذا نحتاج إلى أن يهدينا الله إلى الحق، ويهدينا في ماذا؟

خذ هذه الأربعة أشياء، نحتاج إلى الهداية في الدين، أن يدلك الله على الحق، ليس فقط أن تحب الحق عندما تراه، بل وأن تثبت عليه، فهناك الكثير ممن يحبون الخير والحق وقلوبهم ذائبة فيه، ولكنهم لا يستطيعون الثبات عليه ولا فعله، فما فائدة العلم إذا لم يتحول إلى ترجمة وما فائدة هذا الحب القلبي إذا لم ينتقل إلى حب عملي.

إذن **نحتاج الهداية في أمر الدين** في معرفة الحق وتزيينه في القلب وحبه والثبات عليه،

ونحتاج الهداية في أمر الدنيا في المعاش والرزق والحكمة والتصرفات، في تعاملك مع الناس والرشد،

ونحتاج أيضا في الهداية في من نرافق لأن المؤمن ضعيف بنفسه قوي بإخوانه، لن تستطيع العيش في هذا الطريق من غير أناس يقوونك على مبادئك، فربما تعيش أيامك كاملة مع أشخاص مخالفين لك ولكن يوم واحد في الأسبوع تجلس مع من تستمد منه روح الإيمان ويحفزك على الخير، فيرزقك الله عز وجل الهداية بهذه الرفقة،

ونحتاج إلى الهداية في أمر القلب، أن يبقى القلب معلقا بالله وألا تؤثر على الله أحدا، فإذا مررت بمفترق طرق، من سيعينك على القرار ومن سيهديك إلى الصواب والحق ويريك خير الخيرين وشر الشرين؟ الأمور ليست دائما بيضاء أو سوداء، هناك أحيانا أبيض مشوب بسواد، وأحيانا أسود مشوب ببياض، ومنطقة رمادية، لا نستطيع دائما أن نقول هذا حرام وهذا حلال،

الكثير من الأشياء تعتمد على الإيمان، تعتمد على الورع، على درجة تعلقك بالله عز وجل، فمن يهديك إلى القرار الصحيح في الوقت الصحيح؟ هو الله عز وجل، ولذلك نقول: (**ربي اهدني ويسر الهدى إلي**)، ليس فقط اهدني وإنما اجعل هذه الهداية ميسرة لي،

ما معنى ميسرة؟ أي إذا رأيتها وعرفتها أطبقها فورا في حياتي، وأغير نفسي عليها، لا أن تكون الهداية عسرة علي أو أن أتلكأ أو أتردد أو حتى أسوّف فعلها،

فكلما طبق الإنسان ذلك في حياته كلما كان أقرب إلى الله عز وجل،

وتنتهي هذه المجموعة التي سميناها مجموعة الاستمداد بآخر دعاء وهو (**انصرني على من بغى علي**) وهذه نصرة خاصة لمن ظُلم من البغاة أو الطغاة أو من أي ظالم، فتأتي هذا المظلوم النصرة محددة بتمام العدل لهذا الموقف، إذن نحن نستمد الله عز وجل بهذه المجموعة الأولى فربي أعني ولا تعن علي وانصرني ولا

تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهدى إلي وانصرني على من بغى علي، إذن خرجنا من هذه المجموعة ونحن نعلم أننا دخلنا هذه الدنيا بنفسية محارب وهذا المحارب يحتاج إلى استمداد من الله عز وجل، فكانت هذه المجموعة الأولى. فما هي المجموعة الثانية التي جاء فيها الحديث؟

المجموعة الثانية التزكية:

"رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، " رواه الترمذي، وصححه.

لنأخذ أولا هذه الأربعة، نلاحظ أن هذه المجموعة كلها أخلاق وصفات يتصف بها الإنسان تربي بها نفسك، فمن كثرة الذكر والشكر يكون قلبك رهابا مطواعا لينا في أمر الله عز وجل، وهذه تحتاج منك أن تربي نفسك، لذلك سميناها مجموعة التزكية،

ويقول علماء التربية: أي مربي يربي غيره يحتاج أن يكون جهده مصروفا سبعين بالمئة منه على تغيير نفسه أولا، لأنك إذا تغيرت تغير من بعدك، لكن إذا لم تتغير كان كل الكلام الذي تقوله لا معنى له، لأنهم لن يرى الكلام متمثلا بحي،

سُئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان خلق النبي عليه الصلاة والسلام؟ فقالت " كان خلقه القرآن " رواه أحمد، وصححه الألباني لغيره.

تخيلوا معنى أن تصف الخُلق بالقرآن، أي أن كلام القرآن تجده متمثلا في شخص، وكذلك قال العلماء في الصحابة: كانوا مصاحف تمشي على الأرض، أي تحولت أخلاقهم إلى أن صاروا مثل المصاحف أو القرآن يمشون على الأرض من شدة تخلقهم به.

" اجعلني لك شكارًا " ابتدأ الحديث بأول عبادة وهي الشكر، ولم يقل يا رب اجعلني لك شاكرا، بل قال "اجعلني لك شكارًا" وهي صيغة **مبالغة الشكر**،

والشكر يعمل عملا عجيبا هنا، فإنه يصنع قاعدة توحيد صلبة داخل القلب، كيف؟ لأنك طالما تشكر ربك فأنت معترف بنعمه عليك، والاعتراف بالنعم من أقوى قواعد التوحيد، فإن "**لا إله إلا الله**" هي نجاة العبد والشكر نفسه هو القاعدة الصلبة لهذا التوحيد،

والخلل فيها يحدث عندما يصاب الإنسان بمرض إلف النعمة، فيشعر أن هذه النعم عادية متوقعة، اعتدناها دائما، تعودت أنه لديك أم وأب، تعودت عندما تفتح باب الغرفة تجد ابنك، وفي الغرفة الثانية ابنك الآخر، وابنتك، تعودت على أن الغرف ممتلئة، تستيقظ في الصباح فتجد فطورك جاهزا، قهوتك محضرة، عندما تفتح الثلاجة تجدها ممتلئة، تفتح النور والكهرباء موجودة، تفتح الحنفية فينهمر الماء، تعودت على كل هذه الأشياء، على هذا الروتين، الذي قد

يكون بالنسبة للعديد من الأشخاص على هذا الكوكب مجرد حلم، ونحن تعودناها، نحسبها مثل ألف باء الحياة، من أبجديات الحياة،

إلف النعمة وتعودنا على هذه الأشياء يجعل الإنسان يصاب بمرض فقدان الشعور بالنعمة، ولما يفقد الإنسان هذا الإحساس بسبب زحام النعم الذي يعيشه، تصير عينه صغيرة وضيقة ولا ترى إلا ما ينقصه، أنا ما عندي الخاتم الفلاني فضاقت بي الدنيا، أنا ما عندي شيء، ماذا عن الماء والكهرباء والنعيم وأبنائك حولك وزوجك وبيتك وكل هذا، طالما أن هذا الشيء الذي رأيته في الإعلان لا تملكه إذن أنت لا تملك أي شي؟

تشعر أنك ناقص وتنكدت حياتك، قد يكون الأمر بهذه السطحية أو قد يكون أي شيء يتمناه الإنسان ولا يحصل عليه فيشعر بالنقص مباشرة وينكر كل النعم الأخرى التي ينغمس فيها ليل نهار،

إذن لما نقول " ربي اجعلني لك شكارًا " أي معترفا بالنعم علي، ليس اعترافا بالنعم الكبرى فقط، بل يصبح الإنسان يتحسس النعم، عندما يسمع عمن لا يستطيع النوم إلا بمنومات، وأن البعض يتناول المهدئات قبل أي اجتماع، حبوب للضحك حبوب للراحة النفسية والاكتئاب، وهو لا يفعل أي شيء عند الخروج إلا أذكاره،

إنها شيء من النعم لا يعرفها إلا الذي يتحسسها، أنه يصلي الركعتين، ويبكي في سجوده يدعو الله عز وجل، ويخرج من هذه الركعتين مغسولاً قلبه، هذه المناجاة نعمة من الله عز وجل، فغيره محروم منها، قد مضى عليه شهر أو شهران أو سنوات لم يبكِ خشية لله تعالى،

فالذي يتحسس النعم هو الإنسان الشكّار، حتى نعمة الاستماع للقول الحسن وحضور مجالس الذكر، الكثير ممن يشغلون أوقاتهم بالمسلسلات والأفلام، فأن يصطفيك الله لسماع ذكره إنما هي نعمة منه عز وجل، جعلك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أو حبب الله إليك هذا السماع والبحث عن الفائدة، من الأرزاق أحيانا أنك تدخل درسا أو تسمع لمقطع وهو يتكلم في موضوع ما، ولكن فجأة يذكر رسالة معينة، تكون قد أرقتك، فتسمع هذا الكلام وهو منطبق عليك تماما كأنه مفصل عليك، هذا ليس لأنه بينك وبين المُلقي علاقة أو بينك وبين المقطع، بل هو بينك وبين الله عز وجل أرسل لك هذه الرسالة، فتشعر أحيانا أن بعض الكلام فيه جبر للقلب وجبر للخاطر، وتشعر بأن الله جبرك بهذا الكلام الآن الذي تسمعه، فكون الإنسان شكارا أي معترفا بهذه النعم كلها.

الأمر الثاني وهذا مهم أيضا، لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أذكار الصباح وقال: «من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك، لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود، وضعفه الألباني.

بغض النظر عن يومك هل كان جيدا أم لا، مفرحا أم لا، نحن مطالبون بحمد الله عز وجل على كل حال و مطالبون فوق ذلك بالرضا، فلاحظوا أنه فوق الشكر يكون الرضا لذلك نقول "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا " رواه أبو داود، وصححه الألباني.

وهذا من الأذكار التي نقولها صباحًا ومساء، ولا يجب أن نقولها ذكرا عاديا وإنما اقرارًا منا بأنا رضينا بالله ربًا فرضينا بأقداره وما يجريه الله عز وجل في هذه الدنيا، فكل الأحداث التي نمر بها وكل الناس الذين

وضعهم الله في طريقنا، ربما من مدير ظالم أو مديرة ظالمة أو حماة ليست جيدة، أو زوج متسلط أو ابن عاق، كل هؤلاء الذين يضعهم الله في طريقنا ليسوا ظلما لنا أو نكاية فينا، وإنما لحكمة يريدها الله منا، ولأمر هيأه الله لنا،

لذلك **من أعظم وأرقى وأعلى أنواع التعبد ربما أنك تحب الله عز وجل لعلمك أنه حكيم** بغض النظر عرفت عن حكمته في ماجرى لك أم لم تعرف، ابنك الذي عمره 25 سنة الذي تحبينه الذي هو قطعة من فؤادك في لحظة ما ذهب، ابنك البار الصالح أحسنهم ذهب في لحظة، وغاب عن الدنيا، لو تفتشين عن الحكمة يمكن ألا تجديها، هو الوحيد الذي كان مساندا لك بالبيت، هو الوحيد الذي كان معاونك على إخوانه ومعاونك على أبوه، الوحيد الذي كنتِ تتنفسين الدنيا من خلاله، لا تعلمين لماذا حدث هذا ولكن، من أعظم أنواع التعبد لله أن تؤمن به وإن لم تعرف حكمته،

فكل ما يجري الآن هو بقدر من الله وبحكمة ورحمة بالغة منه عز وجل، هذا الشعور هو الذي يجعل الإنسان شكارا لله عز وجل، ولذلك قلنا إن الشكر يبني عندك هذه القاعدة الصلبة، ثم يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "ربِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا ". هذه الدعوات تكمل بعضها بعضا، والذكر يفعل شيئا عظيما، وقد لخص ذلك في آية ذكرها الله عز وجل في سورة الأنفال، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال:45)

إذن فالذكر يعطيك القوة، ليست القلبية ولا المعنوية ولا الإيمانية وحسب، وإنما يعطيك قوة جسدية، ومصداق هذا الكلام دليله من السنة في حديث فاطمة رضي الله عنها لما جاءت هي وعلي رضي الله عنه إلى النبي عليه الصلاة وقد كلت يداها أي تعبت من الخدمة فقالت لرسول الله لو تعطيني خادما من السبي الذي أتاك فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم» رواه البخاري. وهنا الرسول عليه الصلاة والسلام يدل فاطمة وعلي رضي الله عنهما، وهما من أحب الأشخاص للنبي عليه الصلاة والسلام، يدلهما على الذكر الذي هو أفضل من الخادم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **من نام على التسبيح أوتي عزماً وأوتي قوة**، وقال ابن القيم: **المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه**، فقوة المؤمن ليست فقط جسدية، قوة عضلات أو رياضة، فقد نجد من أصحاب العضلات من هم من أجبن الناس، لكن المؤمن قوته في قلبه، فلما يقوى قلبه يشتد عزمه، وكيف لا يكون ذلك، يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)رواه البخاري.

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام " لك مطواعًا " **لاحظوا لم يقل لك مستجيبا فقط، بل لك مطواعا**، من الطوع وهو اللين والمرونة لأمر الله، فلا يتخشب ولا يتأسد ولا ينفر من أمر الله عز وجل، إذا عرف أن هذا حديث صحيح وهذا ما يريده الله عز وجل لانت نفسه، وهذه من أعظم درجات الإيمان أنك تأخذ أمر الله لك مطواعا إليه، ولذلك ترى المؤمنين أشداء وأعزة على الكافرين لكنهم أذلة على المؤمنين أي أنهم مطواعين لهم،

وهذه المرونة هي تحقيق لا إله إلا الله، وهذا الفرق بين الموحد والمحقق، فالموحد هو الذي يقول لا إله إلا الله والمحقق الذي حقق التوحيد، وهؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين حققوا

توحيدهم، ورضوا بلا إله إلا الله ليس فقط كلمة تقال وإنما في أحكامها وأوامرها وآثروا ما يريده الله عز وجل ونواهيه عن هوى نفوسهم، هذا هو التحقيق الأصلي لأمر الله عز وجل،

ولذلك مهم أن يكون الإنسان عند حدود الفتوى لا يأبه فقط بالحلال والحرام والجائز، فالقضية هي الانتقال إلى مرتبة أعلى وهي **أن تبدأ بالسؤال عن ما هو أحب إلى الله عز وجل فتلين له نفسك**، فكلما عرفت أن الله يحب هذا الأمر قمت به حتى والحكم فيه خلاف، كلما أخذت منزلة أعلى وكلما كنت مطواعا إلى الله عز وجل أكثر، ولذلك هؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، كانت هذه المجموعة هي مجموعة التزكية، الصفات التي تربي نفسك عليها، **أن تكون شكارًا ذكارًا أن تكون مطواعًا أن تكون أواها منيبا**، وسنترك هذه للأخير كي نختم بها.

المجموعة الثالثة: الرجاء.

وهي ما ختم بها النبي عليه الصلاة والسلام، أسميناها كذلك خارطة الطريق، فبعد أن نصرك الله وأنزل عليك معونتك وهداك الله عز وجل، أعطي النبي عليه الصلاة والسلام سؤله قال "ربِ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري"

هذه الأعمال الثلاثة كلها تندرج تحت شيء واحد يسميه علماء السلوك بالتخلية، التخلية أي يا رب نظفني وطهرني، كان في التزكية نوع من التحلية فشكّارا ذكّارا رهّابا مطواعا أوّاها منيبا هذه كلها أعمال قلوب، يربي الإنسان نفسه عليها،

لكن لا تستقيم هذه التربية لو كان القلب غير نظيف، فلا يمكن للأعمال الصالحة أن تدخل قلبا أسود، وحتى تتم منظومة الدعاء هذه كلها وتجمع خير الدنيا والآخرة وتعالج الإنسان من كل جوانبه ليكون أقوى، كانت هذه الخاتمة لهذا الدعاء أدعية تطهير فقال النبي عليه الصلاة والسلام ((اللهم تقبل توبتي)) فهي تطهير المحل الذي هو القلب،

وكما ذكرنا مرارا لا يصلح العمل إذا لم يصلح القلب: "ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" رواه البخاري. إذا لتنظيف هذه المضغة علينا أن نخرج ما فيها من سواد، وسأل أحد التلاميذ شيخه فقال: يا شيخ ما علة العجز الذي أصبنا به؟ يعني نعرف الخير لكننا عاجزون عن فعله لا نملك الإرادة الكافية للثبات عليه، فقال له: **يا بني إن القلب إذا حاصرته المعاصي والعلل عجز**، فكيف تريد من هذا القلب أن يؤمن، أن يقودك لقرارات كبيرة في حياتك، أن يتخذ التغيير ويتبع منهجا في الحياة، ويجعل الدار الآخرة أمامه، وأن تكون لك أهداف عالية،

كيف وهذا القلب محاط بالمعاصي والعلل؟

إذن كيف ندفع هذه المعاصي؟ ندعو الله بهذه الدعوات، بداية ولن نأخذها هنا بالترتيب، قال النبي عليه الصلاة والسلام " اسلل سخيمة صدري " أتعرفون السخيمة؟ السخيمة في اللغة هي السواد، ويقال سخيمة القدر أو سخم القدر، وهو السواد الذي يظهر على القدور، وأطلق النبي عليه الصلاة والسلام ما يترسب في الصدر وما يلطخ القلب من سواد بالسخيمة،

كيف إذن تسلل سخيمة الصدر؟ بأن يزيل الله عز وجل الضغائن والأحقاد والكره والتناحر من قلبك، وأي نوع من أنواع حتى إرادة الشر بغيرك،

ولما نقول اسلل سخيمة صدري، السل هنا من سل السيف بالشيء الحاد، أو الشيء الدقيق الذي تسله، فكأن هذه السخائم تجرح، فيا رب طهر قلبي منها.

الأمر الثاني أنك لو عشت بهذه السخائم فأنت تعيش كإنسان غير سوي، تجد الكثير من الناس الذين قد يضحكون معك أو يبتسمون لك، وقلوبهم مليئة بالحقد والضغينة، وقد يورثون هذا الكره لأولادهم وأحفادهم، كره هذا العم أو الخال أو كره هذا الجار المعين، ويتوارثونها جيلا عن جيل، ولذلك سلة هذه السخائم هي من نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وهذه السخائم كالكره والحقد وتأويل الكلام بغير أصله، سماها النبي ﷺ الحالقة، وقال: "لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين" رواه الترمذي، وصححه الألباني.

إذن هي من الكبائر التي يجب على الإنسان أن يطهر نفسه منها، فلما يقول النبي عليه الصلاة والسلام أيضا "واغسل حوبتي " الحوبة هي الذنب والمعصية، وفيها معنى أيضا غير الذنب، وهو معنى الندم، فعصى وندم وعصى وحزن ولأنه ندم و تاب هو الآن يريد أن يخرج من هذا الشيء،

أحيانا التائب بصدق لا يكفيه استغفار بارد، فإذا عصيت الله عز وجل في يوم تضيق فيك الدنيا، ثم تشعر أنك تتنفس من خرم إبره، وتندم، حتى لو استغفرت وصليت، تظل توجعك المعصية، هذا الشعور يحتاج الإنسان إلى شيء يبرده، فاغسل حوبتي أي طهرني منها و نظفني من هذا الذنب، واغسل فيها زيادة في المعنى، أي بالماء البارد لأن الذنوب لها حرارة، حرارة حقيقية، الذي يذنب يعرف كيف أن الذنب شيء حار من الداخل، لا نعرف كيف نصفه، بضيق الصدر أو الكتمة، وإنما هذه حرارة الذنب تشتعل فيك،

فهذه الدعوة تطفئ هذا " **واغسل حوبتي** " أي اغسل ندمي وذنبي واجعل لها مزيدا من الماء البارد،

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام "وسدد لساني " لأنه لما دل معاذا على أبواب الخير كلها دله على الصدقة، وعلى الصلاة وعلى الحج وعلى كل أبواب الخير، ثم في نهاية الحديث قال له النبي عليه الصلاة والسلام " ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم" رواه الترمذي وصححه.

وهذه حصائد الألسن هي التي يستقيم للإنسان لسانه، لكن هذه معصية المتدينين من أهل القرآن، وهي أسهل ذنب وأسهل معصية لأنها تفلت، ومتى ما فلتت هذه الكلمات فلت اللسان، وهذا للناس الحريصة فكيف بالإنسان الذي لا يعد كلماته ولا يحاسب نفسه، فهذا الكلام وهذا اللسان يحتاجان إلى تسديد، لأنك أحيانا قد توجع من حيث أردت النصح وقد تسيء من حيث أردت الخير، يعني قلت ما تريد أن تلطف به الجو فأشعلت نارا، وقلت شيئا ليس في مكانه،

فتسديد اللسان هذه شيء مما يدعو به الإنسان، وكانوا يقولون: إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا أعانه على لسانه وإذا استقام قلب الإنسان استقام له لسانه، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام " تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وثبت حجتي " تثبيت الحجة، أن تسأل الله عز وجل، بعد أن هديتني يا رب وأعنتني ونصرتني

فثبتني على ما يستقبلني من أمور، اجعلني ثابتا على الحق مدافعا عنه في خصومة الباطل، فلا يتوقع إنسان أنه سيدافع عن الحق والطريق أمامه مفروش بالورد، بل سيحارب وسيدفع وسيجاهد، ولكن من المهم أن يقابل هذا كله بعون من الله عز وجل ويطلب من الله عز وجل أن يثبت حجته على ذلك،

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام " واهدِ قلبي " لأننا نحتاج إلى هذه الهداية وهي التي نختم بها، لأن الهداية إذا جاءت جاء معها الخير كله وإذا نزلت الهداية في القلب ارتاح الإنسان من شعور التوتر والقلق والحيرة والاضطراب والعجز وبعدم الجدوى؛ لأن أكبر شعور يمر للإنسان ليس أن يقتل، بل أن يشعر بأنه عديم الفائدة في الحياة.

الإنسان الذي يعرف ربه يعرف أنه في كل دقيقة وثانية يمد له فيها من العمر ما يحصد به أو يبذر فيه، وهذا من الخير ونعمة من الله عز وجل، عندما تعرف أن الله عز وجل أمد لك العمر وأعطاك هذه القوة فهذه من النعم التي تشكر الله عز وجل عليها.

" **فاهدِ قلبي** " هداية القلب تزيل عنك هذا القلق وهذه الحيرة وهذا الاضطراب وتجعلك قويا صلبا على مبادئك وفيما تعتنقه، هذه الهداية هي غيث من الله عز وجل ينزلها على قلبك فتأتيك في لحظات الأزمات، وفي لحظات الصدمات، وفي لحظات الشده التي يموج قلبك فيها، فيأتيك التثبيت من الله عز وجل، ولذلك هداية القلب هنا هداية مخصوصة على الهداية الأولى التي سألها النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال " واهدني ويسر الهدى لي " سأل النبي عليه الصلاة والسلام هنا في نهاية الحديث " **واهدِ قلبي** " فإذا هدى الله عز وجل القلب، أغاثه بنور من عنده وتكررت معه الهداية في كل أزمة و تكررت معه في كل مصيبة.

لذلك نحن نسأل الله الهداية في فرائضنا فقط 17 مرة، دون السنن والنوافل، فلو لم يكن طلب الهداية بهذه الأهمية لما نزلت في القرآن بهذه الكثرة.

وأختم بالأربعة التي تركتها في الأخير، اجعلني يا رب لك مخبتا، أواها، منيبا، مخبتا من الإخبات وهي من الموضع النازل، فغير أن تكون مطواعا، أن تذل نفسك لله، كما نرى في الابن البار كيف يتعامل مع والديه وينزل لهم يقبل أقدامهم يفتح لهما باب السيارة، يعاملهما كأنهما ملكان، فمعاملته هذه ترفعه عند الناس، كيف يذل نفسه عند أبويه، لا نقولها بهذه الطريقة وهذه علاقة بين مخلوق ومخلوق ولكن لفضل النعمة لأن هذا أب وهذا ابن،

فكيف إذن يجب أن تكون العلاقة بين الخالق والمخلوق؟ بين الرب والعبد؟ كيف يجب أن يذل العبد نفسه لربه؟

لامتنان المعروف، لشعورك بتلك المنة والنعمة التي لا تتوقف عليك، يعني إنسان واحد يقدم لك معروف وتشعر أنه ملكك كله، فكيف بالله عز وجل الذي ينعم عليك بعين تبصر بها وقلب ينبض فيك وصحة وعافية ونعمة، كيف يكون شعور المنة لله عز وجل؟ فإليك مخبتا أي متواضع متطامن لله.

أواها أي كثير التأوه و الندم والتحسر على ما فاته من أعمال صالحات، ومنيبا، قال العلماء لما شرحوا لفظ منيبا: الطفل إذا أصابه أمر من الخوف ماذا يفعل؟ لا يبحث عن الباب، ولا يتفقد المخرج، ولن يفكر كيف يحل المشكلة، فلو كان الباب أمامه مفتوحا وهو خائف من أسد أو نار فلن يلتفت، سيبحث عن أمه وحسب،

فإليك منيبا أي أن تكون رجاعا مباشرة إلى الله، ففي أي لحظة أو صدمة، أي منعطف في حياتك أو أزمة، لن تبحث عن الأبواب أو المخارج ثم تستعين بالله، لا، بل أولا تنيب إلى الله عز وجل، ترجع إلى الله ثم بعدها تفكر بالأسباب، هذه هي الإنابة، هي الرجوع المحض إلى الله عز وجل وهي التوبة النصوح وهي أيضاً الاستعانة بالله عز وجل في كل حال،

هذه 22 مطلبا من المطالب أو من الأدعية التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بها ويلهج بها كثيرا في دعائه .

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه و يجعلنا ممن يدخلون الجنة ووالدينا من غير حساب ولا عقاب وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها